

مكانة العقيدة الإسلامية في تأصيل التعايش السلمي الحضاري ونشره

**The status of Islamic doctrine
In establishing peaceful civil coexistence**

صالح زلومة¹

جامعة الزيتونة (تونس) zelloumasalah@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/10/17

تاريخ الارسال: 2024/04/30

ملخص

نظرًا لحاجة الإنسان إلى حقيقة التعايش المنشود، الذي حظي في الساحة الفكرية باهتمام واسع لدى الباحثين تأصيلًا ونشرًا وماهيةً، فقد جاء هذا الموضوع مبينًا أن العقيدة الإسلامية لها القدح المعلن في تحقيق ما يصبو إليه العالم من تعارف وتقارب وحرية حسًا ومعنى من خلال وسطية الإسلام وعالميته، بهدف المقارنة بين ما جاءت به مرتكزات التعايش السلمي في عقيدة الإسلام وبين ما أقرته المواثيق والقوانين الدولية، تكريسًا لمبدأ التعايش السلمي الحضاري المبتغى للعالم كله. ومن أبرز المتوصل إليه من النتائج في هذا الموضوع من خلال بسط أسس التعايش السلمي في العقيدة الإسلامية:

- ظهور كمال الإسلام عقيدةً وشريعةً ومعاملةً بما يدعو إليه من حرية فردية مع اعتبار حدود الغير.
- الدعوة إلى دماء الخلق والتعاون واحترام العهود والمواثيق الناتجة عن أصالة العقيدة الإسلامية، لكون وجودها مع قدم تواجد البشر خِلقَةً، وتميزها بعمق الفكر وبعد النظر ونبيل المقصد في الخطاب؛ والمحاجة بالأساليب العقلية والبراهين المنطقية.

الكلمات المفتاحية: العقيدة؛ السلم؛ التعايش؛ المواثيق؛ تأصيل ونشر.

¹ المؤلف المرسل

Abstract:

Due to the human need for the desired coexistence reality, which has received widespread intellectual interest among researchers in terms of its roots, dissemination, and nature, this subject highlights that the Islamic creed has a high rank in achieving what the world aspires to in terms of acquaintance, convergence, freedom of mind and meaning through the moderation and universality of Islam. The aim is to compare the foundations of peaceful coexistence in Islamic creed with what international treaties and laws have established, in dedication to the principle of civilized peaceful coexistence sought by the whole world. One of the most prominent results obtained from this subject is the foundation of peaceful coexistence in Islamic creed, including the perfection of Islam as a creed, law, and treatment, promoting individual freedom while considering the boundaries of others, calling for morality, cooperation, respect for covenants, and agreements resulting from the authenticity of Islamic creed, which has existed since the creation of human beings and characterized by profound thinking, contemplation, noble objective in speech, and the use of logical arguments.

Keywords: Creed, Peace, Coexistence, Treaties, Roots and Dissemination.

1. مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن كفوًا أحد. خلق السماوات بغير عمد نراها، ومد الأرض وسلك لنا فيها سبلاً مذكلة للسائلين. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فما من نفع وخير للإنسانية في الدنيا والآخرة إلا وحثها عليه مبين طرقه وأسبابه وفوائده وغاياته. وما من ضرر وشر إلا وحذر الإنسان منه وسد ذرائعه وميَّز للإنسانية وسائله، مخافة الوقوع في مغبته واتقاء لعواقبه غير المحمودة في الدارين.

1.1. تمهيد:

تمثل عقيدة الإسلام أسساً عظيماً في البناء الاجتماعي، فلا يمكن للبشر أن يتصور التعايش السلمي الحضاري في غيرها من المواثيق والقوانين والعقائد والشرائع وضعية كانت أو سماوية مما سبقها، لأن المتفحص المتأمل يدرك لا محالة حقيقة رعاية العقيدة الإسلامية للتعايش السلمي الحضاري وذلك من خلال تتبع وعرض تطبيق سلفنا الفعلي لتعاليم ديننا الحنيف عبادةً وأخلاقاً

وسلوگًا، يتضح مدى تحقق هذا التعايش المنشود المرعي أساسا في ظل عقيدة الإسلام من خلال قراءتنا للأصل العظيم المباشر إجمالا في خطاب الله عزّ وجلّ من كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما جاء في سورة الحجرات، من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13)، ومن خلال ما سيأتي من العناصر تفصيلاً، لقد جاء النداء في الآية الكريمة للناس اشعاراً بعالمية الإسلام من جهة وفي آيات أخر يوصف رسول الإسلام بأنه رحمة للعالمين، ومن جهة أخرى أن الإنسانية كلها مخاطبة من خالقها بالغاية الفرعية من الأصل للخلق وهي التعارف المشتمل على كل ما لا تقوم الحياة الفردية والاجتماعية إلا به، ومن ذلكم ما يصبوا إليه جنس الإنسان ويبحث عنه من خلال الدراسات المتنوعة انشاداً لحظ الحقوق والكرامة والسعادة حساً ومعناً.

1. 2 مدخل الخلوصل إلى الإشكالية:

إنّ حقيقة المشكل فيما تتجرعه الإنسانية من ظلم وهضم للحقوق وعدم تقبل الآخر في شتى أصقاع المعمورة، عائدٌ إلى سوء فهم الإسلام عقيدةً وشرعةً من المسلمين أنفسهم، فضلاً عن تطبيق نصوصها تطبيقاً واقعياً، الذي يحوي كل نواحي الحياة زماناً ومكاناً، وإلا ففي شريعتنا الغنبة عن كل تقنين أو تنظيم وضعي لأن الله تعالى أخبرنا أن كتابه أنزل تبياناً لكل شيء من جهة العموم، بالاشتمال على الأصول الكلية لمعاني الأشياء المأمور بها من الخير والصلاح أو المنهي عنها من السوء والضرر، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: 89)، فهذه الآية التي سبق معناها، وما تدل عليه، أصلٌ عظيم لما يحويه كتاب الله عزّ وجلّ من تأصيل للتشريع وتأسيساً لمصالح العباد في الدنيا والآخرة. أمّا من جهة التأكيد والاتزان والانضباط المتعلق بما يجب أن يكون عليه الخلق تحقيقاً للمصالح الموعود بها من الله حيث قال في كتابه: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّتْهُ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظُلْمَ يَظِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنعام: 38)، على أي حال، ففي هذه الآية المؤكدة لما قبلها، المفيدة لما ذكر من المصالح وما تعلق بها، التي منها ما هو تأسيس للتعايش، فنصوص شريعتنا حافلة بالنهي عن التفرق والاختلاف والتحزب، الذي نخر في أمتنا حتى صارت فرقاً وجماعات، فكانت كما وصف ربّ العزة والجلال

حين قال في محكم التنزيل: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (الروم: 32) وقال أيضًا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: 46)، فالآيتان دليان على نبذ التفرق والتحزب، والاختلاف في شريعتنا. فأصل الخير في الاجتماع، لأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، فبالفة أفرادها وتعايشهم فيما بينهم، يكونون دعاءً للإنسانية إلى ما ينفعها في الدنيا والآخرة، كما وعد الله من استقام على دينه في كل أمره، على المنشط والمكروه.

3.1 الإشكالية:

- إذا تبين ذلك فما هو التعايش السلمي الحضاري المنشود لدى الإنسانية؟
- هل التعايش السلمي الحضاري حقيقة فعلية مطبقة في عصر من العصور ما مدى وجوده ونوعه في ظل العقيدة الإسلامية؟

تظهر مشكلة إنسانية التعايش السلمي في عقيدة الإسلام، من جراء ما يحكيه أعداء الإنسانية الحقيقيين من غير المسلمين، الذين ما فتئوا يكيّدون للإسلام تشويهًا وتضليلًا واغراضًا، حتى لا يقود العالم إلى بر الأمان، لأنهم يدركون فعلاً ما جاءت به الحنيفيّة السمحة من قواعد مرسية، لسلامة البشرية وسلامها وتعايشها، وما حثت عليه من مبادئ جامعة لما يتشوف إليه الإنسان، ويتوق إليه في حياته الاجتماعية. ولقد حاول المستشرقون والحداثيون طمس هذه الحقيقة، بتبني هذه الأخلاق السامية والمبادئ المتجدرة، والقواعد الأصيلة، ونسبتها لمحض اجتهادهم، وتوظيفها فيما يسمى بالترسانات القانونية والمواثيق الدولية، ثم أشاعوا عن الإسلام، إنه دين عنف، ولم ينشر إلا بالسيف، وأنه مقيد للحريات، ملغٍ للعقل، يريدون بذلك طمس هوية الإسلام، ناسبين لأنفسهم قيادة العالم، ورمز الإنسانية، ونشر العدل، وإحقاق حق الأقليات، وغيرها من أسس إنسانية التعايش المنشود في العالم. ولكن ليقضى الله أمرًا كان مفعولاً، اقتضت حكمته تعالى، أن يظل الصراع بين الحق والباطل مستمرًا، تمحيصًا للمتجرّد من عباده المنصف، المتصف بالعدل فيما يأتي وما يذر، وإلا فدواوين نصوص التشريع لدينا شاهدة على تقدم ورسوخ مبادئ الإنسانية في أسمى متطلباتها، فلا إفراط، ولا تفريط، ولا إهدار، ولا إجحاف، وهو ما يستبين جليًا من خلال عناصر الموضوع، بإذن الله تعالى.

4.1 نقد المصادر والمراجع:

تنوعت مصادر الموضوع ومراجعته في مدونة، جمعت بين كتب التفسير التي استفدت منها تأصيل الموضوع من خلال فهم الآيات وما ترمي إليه، استخلاص وجه الاستدلال منها، وبين المصادر الحديثية التي رجعت إليها في الحكم على نصوص متون الأحاديث، صحةً ضعفاً، وبين المعاجم اللغوية التي حددت من خلالها المعنى اللغوي لمصطلحات الموضوع. كما استفدت من كتب الفكر الإسلامي، المفهوم الاصطلاحي للتعايش السلمي.

2. مفهوم المصطلحات:

إنّ البحث في مبدأ تحقق التعايش السلمي الحضاري في ظل عقيدة الإسلام، والجال المحوري لرعايتها له، من ضمن ما يقتضيه التقريب المعنوي للمصطلحات التي يقوم عليها التركيز الموضوعي.

1.2 مفهوم التعايش السلمي:

1.1.2 لغةً: وهو مصدر لعاش يعيش عيشاً وعيشةً وتعايشاً، وهو من أفعال المقابلة التي لا تكون إلا بين اثنين فصاعداً، فبالرجوع إلى المصادر اللغوية يتلخص معناها في شقي ما تقوم عليه الحياة حساً ومعناً، فمن الأول البلغة من العيش ومكان العيش والطعام والشراب وغير ذلك من الحسيات التي يقوم عليها، ومن الثاني الحياة القائمة على المودة والألفة والتعاون¹. أما السلم فهو صفة للتعايش ومشتق من السلامة والسلام، ومردده في العربية إلى معانٍ مجمعها البراءة من العيب، العافية، النجاة، الترك، وهو ضد الحرب².

2.1.2 اصطلاحاً: إن مصطلح التعايش السلمي بتألفه من لفظتين في الأصل يكون له معناً بالافراد معاً تركيبياً وسأكتفي بالثاني لأن الأول لا يبعد عن المعنى اللغوي، التعايش السلمي من جهة التنوع منها هو اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش، أي الحياة فيما بينهما وفق قاعدة يحددها وتمهيد السبل المؤدية إليه³.

يلاحظ أنّ هذا المفهوم قد احتوى على المعنى اللغوي إضافةً إلى التكيف الواقعي للنحت الاصطلاحي في حقل الفن المبحوث فيه، تماشياً مع متطلبات مسائله.

2.2 مفهوم العقيدة:

1.2.2 لغة: تعددت المعاني اللغوية لكلمة عقيدة، وهي صيغة مبالغة من فعيلة مصدر عقد، يعقد عقيدة عقداً مردها إلى الشدّ والربط: الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَالذَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدُلُّ عَلَى شَدِّ وَشِدَّةِ وَثُوقٍ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فُرُوعُ الْبَابِ كُلُّهَا⁴.

2.2.2 اصطلاحاً: تجدر الإشارة إلى أنّ مصطلح العقيدة يطلق عليه عند السلف الإيمان وعمل القلب والفقهاء الأكبر وغير ذلك من الأسماء لمسمى واحد، إلى أن استقر لقباً على فنّ التخصص يدرس قضايا ومسائل وموضوعات معلومة من الدين، وممن بين هذا المصطلح عضد الدين الإيجي الذي قال "المراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل"⁵. فقد جمع الإيجي في مفهوم العقيدة بين عمل القلب باطناً والأصول الكلية لما ينطبق عليه الفنّ من موضوعات درسه ومسائله.

3. مرتكزات التعايش السلمي:

تنبثق إنسانية التعايش السلمي الحضاري المؤسسة على العقيدة الإسلامية عن مبادئ أساسية منها:

1.3 الأوليّة بالعهد:

يبين هذا الأساس، الذي تميزت به العقيدة الإسلامية، وعلاقتها بأتمّي الإجابة والدعوة السبق الوجودي للإسلام العام. الذي جاء به كل الأنبياء والمرسلين وهو توحيد الله الخالص، المتضمن بطبيعة الحال في شريعة الإسلام التي جاء بها محمد بن عبد الله ﷺ. وحقيقة الأمر أن الله تعالى فرض على الإنسان توحيد من لدن آدم عليه السلام إلى أن يرث الأرض ومن عليها، فهو الغني عن الشرك والشركاء، دقّ ذلك أو جلّ. قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَبَّحَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾⁶، يقول يحيى بن سلام في تفسير هذه الآية من قوله تعالى: مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَبَّحَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﷻ الله سماكم المسلمين، من قبل هذا. أي: من قبل هذا القرآن في الكتب كلها الأولى وفي الذكر⁷ (ينظر). وقال ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه بسنده

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»⁸. وقد يأتي هذا المفهوم في نصوص شريعة الإسلام بألفاظ متعددة تعبر عنه، منها العبادة وما يتعلق بهذا المصطلح من عبودية والعباد والمعية والإحاطة وغيرها من الاصطلاحات الدالة على الحقيقة التي لا مناص منها، وهي أن الإسلام له شطران خاص يراد به الشرائع والأحكام التي جاء بها رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ، والشطر الثاني وهو الإسلام العام الذي يمثل عقيدة الاستسلام لله بالتوحيد في الخلق والملك التدبير، وفي العبادة وفي الأسماء والصفات. وهذا ما أرسل الله به الرسل من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ. فلا يحتاج المقام إلى مزيد بيان لهذا الأمر، تكفي الإشارة لتذكير والبناء، لأن كتاب الله عز وجل يعج بالآيات، التي يذكر فيها الله عز وجل على لسان الأنبياء والمرسلين تسميت أنفسهم، وأمهم بالمسلمين، ودعوتهم إلى التوحيد الخالص، الذي عليه مدار الامتحان والاختبار والابتلاء من الله عز وجل لعباده إلى يوم الميعاد والنشور. إذًا، فقد اتضح جليًا عمق وأصالة وتجذر عقيدة الإسلام بين البشر منذ الأزل، أي، من خلق آدم عليه السلام، والإنسان بطبعه يأنس إلى ما ألفه وتعوده، خاصة إذا كان المألوف فطر عليه من خالقه وجالبه، فليس من الإنسانية في شيء في التصدي لعقيدة الإسلام بالتشويه والتشبيه والتشكيك في حقائقها، بغية لأغراض، الله أعلم بمراد أهلها.

ومن تكرم الله عز وجل للإنسان، أن عبده إليه، ولم يسلمه يتذلل لمخلوق كائن من كان ملكا مقربًا أو نبي مرسلًا، لأن الموجد من العدم الرزاق الفعال لما يريد، هو المستحق وحده للخضوع والانكسار. لو تأمل الفرد في هذه الحقيقة، يخلص إلى أن الله تعالى لم يفضل الإنسان إلا بالقرب منه، بفعل أوامره، والانتهاه بنواهيه، تسوية لمطلوب صفة الكمال الإنساني، الذي أراد الله لعباده. فلو شرع عبادة المخلوقين بعضهم لبعض، لتفاضلوا بمحض ارادتهم وأهوائهم وشهواتهم، من غير معيار طبيعي أو إنساني، ويعلو القوي ذو الجاه والمال والسلطان والنسب، ويهون ويذل غيره دون حق، مصوغ لإهائته وإلغاء كرامته، ومن المعلوم بالضرورة العقلية أن المشترك المعنوي لصفات بني البشر لا يحق لمخلوق التسلط عليه، لاحتوائها والتفرد بها، ومن ذلكم المشترك الأمن الحسي والمعنوي، التعايش بأصنافه وصوره، الكرامة بقسميها، التعبير عن خلجات النفس من غير إرهاب حسي أو فكري، وغيرها من الصفات التي تقوم عليها أسس الإنسانية في عقيدة الإسلام

{المخالف} ودعوته لتعريفه بسماحة الإسلام، وما يرمي إليه من مبادئ تكوينية لفطرة البشر، وما جبله الله عليه.

2.3. تأصيل العدل:

يستدل على قطع أواصر أسباب الظلم وتحقيق ما يضاده، بما ورد في نصوص الوحي الناهية عن الظلم، عقيدةً وشرعةً في الإسلام. كثيرةٌ عددًا متنوعةٌ كيفًا وطريقةً في النهي والذّب عن المظلوم ونصرتة. فقد تأتي الآيات والأحاديث إما أمرًا بالعدل، ناهيةً عمّا يضاده ويشوبه، بالصيغ المباشرة المبسوطة في بابها من مباحث دلالات الألفاظ، وإما بمدح العدل وأهله والثناء على فعله لهم وذم الظلم ومن اتصف به. وتارةً تأتي النصوص بترتيب الأجر على فعل القائم بحقوق الخلق، مسلمين كانوا من بني جلدته أو من جملة بني البشر. بل أن القاعدة الطبيعية الماضية على مر العصور، من أعظم الشواهد على قيام دولة العدل، وإن كانت كافرة، وسقوط واندثار دولة الظلم، وإن كانت مسلمة. ولا غرابة في هذا كله، لأن موجد الكون الواحد الأحد، أول ما حرم الظلم، حرمه على نفسه، مع كونه سبحانه وتعالى وتقدس بكماله المطلق، عمّا وصفه به الجاهلون علوا كبيرا، متصفًا بالفضل، ناهيك عن العدل الذي هو دونه، وأولى منه بالقياس العقلي في حق المخلوق، فكيف بالخالق؟ ولكن السر في ذلك علم الله السابق بما يناسب فطرة المخلوق، أين كانت منزلته. فالفرد من أولى الأوليات عنده في مجتمعه بلوغ الحقوق إلى مضائها، والمستحقات إلى ذوبها، لما يترتب عن ذلك من الأمن وسكون النفس وطيب الحياة، وتقبل الآخر والتعايش الممدوح بين البشر. بل ينجم عمّا تحقق بسبب العدل النقد الدافع للبناء وسد المثالب، لأن الناقد في هذه الحالة يشعر بإنسانيته، أمام من يوجه إليه التصويب. فالناقد يعلم أن حقه مكفول موفور بالنص، والمنقود يدرك جيدًا أن حكمة الله اقضت، جعل الإنسان يكمل بعضه بعضا، لئلا يتسلل للمسؤول الكبير وبطر الحق وغمط الناس، حتى يظن في نفسه الكمال والصواب المطلق، فلا يأبه لتصويب أو توجيه، فضلا عن التقويم لبلوغه حدًا من العطرسة، لا تصوغ له إلا الثناء والشكر، على أفعاله، ناسيا أو متناسيا حقيقة الإنسان الموصوف بالنقص والعجز، مهما علاء في درجات الكمال البشري، فالكمال عزيز، ولم يكمل من البشر إلا الأنبياء والمرسلون. أما الكمال المطلق، فليس إلا لله وحده، دون ما سواه. إذًا فحقيقة التعايش الإنساني المنشود لدى الأفراد والمجتمعات، يجب أن يتبصر به البشر على هذه الأسس العقدية الربانية، ليشعر كل بموقعه، ويحس بمسؤوليته، ويدرك مستحقه دون

إفراط ولا تفريط، أو إلغاء، أو إجحاف. ثم إن التأسيس العقدي لهذا الجانب الإنساني يستخلص من كون الله عز وجل متصفاً بالعدل المطلق، يقول الله عز وجل: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلُنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾⁹، تبين الآية عدل الله عز وجل الذي لا يضاهاى، ويظهر ذلك جلياً من الآية في وصفها لميزان الأعمال يوم الجزاء الأعظم، كما جاء عند المفسرين¹⁰ (ينظر). كما يلاحظ أن هذه الآية تسلط النفي فيها على الفعل، امعائاً في عدم تخلف شيء من المنفي. وقال ﷺ مادحاً نجاشي الحبشة قائلاً لصاحبه رضوان الله عليهم: فيما رواه البيهقي: ﴿لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد﴾¹¹، وصححه الألباني¹². مع العلم أن هذا الملك الذي أرسل إليه الصحابة واصفاً إياه بالعدل كافرٌ على الصحيح، ولكن جامع الإنسانية جعلت هذا الملك يحسن ضيافة من وفد عليه وليس على دينه. كما أن النبي ﷺ لم يتردد في إرسال المتضررين بظلم أقوامهم في أعراضهم وأموالهم إلى من اتصف بالعدل، تأميناً لدينهم وأعراضهم وأموالهم. فالحمد لله على نعمة الإسلام التي لا تعادلها نعمة، فلو أنصفت البشرية عاشت عزيزة متكاملة متواصلة تحت ظله الحامي، لحمى الإنسانية بكل معانيها. وقال تعالى في حق رسوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾¹³، فالآية دليلٌ على أن الله عز وجل أرسل محمد ﷺ رحمةً للناس كلهم جميعاً من غير تمييز، كما جاء في تفسير القرطبي عن سعيد بن جبير¹⁴ (ينظر).

3.3 الجزاء المضاعف:

يرتكز هذا الأساس للتعايش المنشود على ما عند الله من ترغيبٍ للمسلمين وحثهم عليه، وما يقضيه من دعوةٍ لغيرهم، بسماحة الإسلام وأخلاقه وفضائله، التي شملت الكون على تنوع مخلوقاته ومختلف أفكار الإنسان ومذاهبه وتوجهاته. يستحضر التأسيس العقدي للصفات الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام، بني جنسه أولاً، ليتحلوا بها فيما بينهم، ثانياً ليتعاملوا بها مع غير المسلمين، لما فيها من الإحساس والشعور بمكانة الإنسان ومنزلته عند الله عز وجل. فمحصل هذا التأسيس المشار إليه أنفاً من ثلاث جهات في نصوص شريعتنا، الأولى، الأدلة العامة الصريحة، على سعة فضل الله وعطائه ورحمته ولطفه ورافته. منها قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾¹⁵، يأخذ من الآية مدلولٌ قويٌّ فيبرّ الله عز وجل لعباده الواصل إليهم دون

عناءٍ منهم، ومعناً لطيفاً في قسم الله لرزقه على عباده، وكلا المعنيين مفاد كلام نفيس عند الزمخشري في تفسيره¹⁶ (ينظر). وكل الآيات بأسماء الله عز وجل الدالة على المراد المقصود، ومن ذلك: رؤوفٌ رحيمٌ، عفوٌ غفورٌ، الغفورُ الودودُ، وهذا النوع من الأدلة كثيرٌ جداً. أمّا الجهة الثانية فمأخذها سماحة النبي ﷺ بين أصحابه ومع أهل الكتاب وغيرهم، كما قد جاء عن النبي ﷺ أنه كان إذا اقترض أحسن القضاء، أي وفي القرض بزيادة غير مشروطة، وهذا جانب إنساني ظاهر جداً لما فيه من الشكر على الصنيع، واعتبار الفضل لأهله، ورد الجميل الذي تميل إليه النفس البشرية، وتركه إليه. بل أن النبي ﷺ من صفاته الإنسانية، كان يتصدق بما يطبخ في بيته من طعام، ويبحث نسائه وصحابته على ذلك، لعلمه بشدة تشهي النفس عند التحسس بما تهواه وتفضله من طعام وغيره. فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إذا طبخت مرققة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك»¹⁷، والحقيقة أن هذه الصفات الإنسانية في النبي ﷺ ليست إلا غيضاً من فيضٍ، ولكن بالمثال يتضح المقال. فكيف بالمسلمين؟ لو التزموا بسماحة الإسلام عقيدةً وشريعةً ظاهراً وباطناً فيما بينهم ومع غيرهم، هل يبقى لأعداء الإنسانية ما يحولون به التنقص من هذا الدين العظيم؟ كلا، وأتَى لهم ذلك؟ ولكن ليقضي الله عز وجل أمراً كان مفعولاً، فمن حكمته أن جعل الأيام دولاً لنا وعليها ليميز الناس بين الحق والباطل، وبين الغث والسمين، لأن من أبصر بعين العدل والإنصاف تجلّت له حقيقة سماحة الإسلام في شتى مجالات الحياة الإنسانية بأسمى معانيها، لأن هذه الصفات تتميز بالأصالة في عقيدة المسلم لاتصاف الله عز وجل بها ورسوله، ولإيمان بما يترتب عليها من الأجر والثواب. أمّا الجهة الثالثة، فتلك النصوص الخاصة المعبرة عن الجوانب الإنسانية المشرقة التي لم تدع لنا قد مثبته تدانوا بها كليات محاسن الإسلام العامة، بحالٍ من الأحوال قال تعالى في حق بر الوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَفِي وَلَا نَهْرُهُمَا ۚ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ۚ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ۝١٨، فسبحان الذي أوصى في كتابه الخالد، بمن كان سبباً في وجوده، وأكد حقهما بالنص بعد توحيده تعالى وتقدس. ويزيد الأمر خصوصية وأهمية بالغة إذا كان الوالدان شيخين كبيرين، لما تعرض لهما من الضعف والخور والحاجة. فالولد أولى بهما وأحق وأوجب عليه من غيره برهما، لأن عقوقهما ولو بالتأفيف مصنفٌ في ديننا من الكبائر بعد الشرك. ولقد جمع معاني البر والإحسان في

هذه الآية، ابن كثير في كلام طويل من تفسيره¹⁹ (ينظر)، وإن كان الوالدان مشركين، فبرهما وطاعتهما ومصاحبتهما بالمعروف باقية على الوجوب الأصلي الذي لم ينصرف لقرينة قال تعالى: ﴿وَلِإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾²⁰، يتضح من الآية التصريح بوجوب مصاحبة الوالدين بالمعروف وبرهما والإحسان إليهما، كما أفاض بذلك ابن باديس في تفسير هذه الآية²¹ (ينظر)، فمن إنسانية عقيدة الإسلام توطيد حق الوالدين بغض النظر عن دينيهما، لأن تدين الفرد في نفسه نفعه لازم له، أما هذه الحقوق فنفعها متعدي، وإن كانت مشرعة في الإسلام، فينتفع بها غير المسلمين. ومن الصفات الإنسانية المتعدية في عقيدة الإسلام: تبجيل الكبير، ورحمة الصغير، والصدق مع المسلم وغيره، وصلة صديق الوالد أو الوالدة، وإغاثة الملهوف، ولقاء الناس بالكلمة الطيبة لما لها من انشراح في النفس، والإحسان بأنواعه وصوره للفقير، أو الجار، أو الضيف، مما يعزز ثقة الإنسان في أخيه، وإطفاء نار العداوة، وسد لباب الشحناء والضعينة والحسد الذي يعصف بالعلاقات، مهما كان نوعها ودرجتها.

4.3 اعتبار حال الضعيف:

إنّ الضعيف، قويّ، منصورٌ مكفول حقه الحسي والمعنوي، حتى يناله بشريعة لا شطط ولا زيغ من جهة، ولا مناص ولا مهرب منها من جهة أخرى. والقوي ضعيفٌ عن التسلط والبغي والتعدي من غير بحسٍ ولا نفىٍ لحلقة وجوده بمعنى أن هذا المتعدي بالتسلط يعاقب في عقيدة الإسلام بما يستحقه دون غلوٍ أو تشفٍ وما إلى ذلك، مما تجرّه حظوظ النفس على صاحب الحق متى ظفر وانتصر على ظالمه، وهو عين الالتزام بالتوجيه السامي العقدي لما في ذلك، من عوائد على التحقيق الفعلي للتعايش المنشود بين مخلوقات الله عزّ وجلّ. فمن المعلوم فطرةً لدى الإنسان السوي أن الضعيف منكسرٌ لمن يشعره بالأمان في الحياة والطمأنينة في النفس وسكون البال حتى يتذوق الحياة ولا يحس بالنقص بين ما يفضلّه فيما يفقده من أفراد جنسه. ولقد جاء القرآن الكريم يؤصل لهذه القضية حين أوجب الله عزّ وجلّ الهجرة على المسلمين من بلاد الكفر فقال عزّ من قائل: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ جِهَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾²²، فهذه الآية، وإن كانت في ظاهرها تختص أحكامها بالمسلمين، ولكن شملت غير المكلفين من الوالدان

الصبية، لكونهم غير مخاطبين بشريعة الإسلام. فقد جاء هذا المعنى العام في التفسير الواضح²³ (ينظر)، مما يستأنس به من جهة تأصيل الشارع للمسألة. أما من جهة التطبيق، فمن محال أمثلتها تعامل النبي ﷺ مع أسرى الحرب. فقد كان الناس زمنها على مستوى القبائل والديانات يقتلون الأسرى ويجهزون على الجرحى. أما الإسلام فقد حذر من ذلك، ورخص للأسير أن يبقى على دينه، من غير إكراه على الإسلام، حتى ينظر في أمره بعد الحرب مع قومه. وإن فضل العيش في بلاد الإسلام وأسلم، فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ولا يجوز التفريق بينه وبين العرب، أو من سبقه بالإسلام، إلا بالتقوى. أما إن استمسك بدينه، فتقع عليه الجزية المناسبة لحاله، دون تكليف بما لا يطيقه، بل يرجى المعدم منهم، حتى يكون له مال لتسديد، من باب الإنظار من العسر إلى اليسر. قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرٍ فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾²⁴، فقد نزلت هذه الآية في الدين، ولقد فصل ابن عرفة وناقش الأقوال فيمن يستحق الإنظار من دينه لإعدامه حتى يوجد ويتوفر على ما يستطيع به القضاء، كما عرج على ثواب المنظر والمعنى اللغوي الكلي لكلمة ذو عسرة²⁵ (ينظر)، وصاحب الجزية مدينٌ بجزيته المعقودة في ذمته حتى يسدها، وهو بذلك داخل في آية الدين بالعموم الظاهر. إضافةً إلى أن ما يطالب بدفعه جزاء حمايته ونصرتة، لا للبقاء على دينه، وهذا من سماحة الإسلام رعايةً للضعيف ضعفاً معنوياً كان أو حسيّاً. إرساءً لجوانب الإنسانية في الإنسان بلا إفراط ولا تفريط. وللاستزادة من تفاصيل أحكام الجزية وما يتعلق بها من جوانب إنسانية لسماحة الإسلام ورعايته لذوي الحاجات وغير ذلك، تطلب من مضائها في تفسير قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾²⁶، وباب الجهاد من كتب الفقه وتقريرات الأصوليون عليها الذي لا يحتمل بسطه المقام. ومن أمثلة اعتبار حال الضعيف في الإسلام ما جاء عن النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه بسنده أن قيس بن سعد، وسهل بن حنيف، كانا بالقادسية فمرت بهما جنازة فقاما، فقبل لهما: إنها من أهل الأرض، فقالا: إن رسول الله ﷺ مرت به جنازة، فقام فقيل: إنه يهودي، فقال: «أليست نفساً»²⁷، كأن النبي ﷺ يبين أن القاسم الإنساني المشترك ألم المصيبة بالموت في هذا الموضع مفرق بين مسألة الإسلام والكفر ومسألة الحس بالألم لدى كل

إنسان، بل امتدت هذه الجوانب من اعتبار الشعور ووضع كل شيء في موضعه إلى مراعاة كل شيء دبت فيه الحياة. فقال ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: " بينا رجل يمشي، فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا، فشرب منها، ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فملأ خفه، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له "، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر»²⁸، وهو ترغيب في الإحسان إلى كل حيٍّ من الجنس الإنساني، أو الحيواني، فضلا عن الإسلام، أو الكفر، وقال أيضا فيما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن شداد بن أوس، قال: ثنان حفظتهما عن رسول الله ﷺ، قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته»²⁹. فأين المواثيق والقوانين الدولية، وما يسمى بمنظمات حقوق الإنسان من هذا المعنى السامي للإحسان إلى كل حيٍّ مع ترتب الأجر والثواب مع ذلك؟ وبالمقابل، فقد دخلت امرأة النار في هرة حبستها، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، ودخلت الجنة بغي سقت كلبًا يتضور عطشا، فشكر الله لها صنعها، فأدخلها الجنة، والأمثلة في اعتبار عقيدة الإسلام لحال الضعيف، ومراعاته معنًا وحسًا، أكثر من أن تعدى و تحصى في ورقات، لأن المعادلة المسلم لحاصلها، أن الخالق لهذا الكون أدري بما يصلحه، فلا غرابة في سنّ القوانين الكونية والشرعية، لضبط حدود المعاملات والعلاقات وحفظ الحقوق بين المخلوقات، بالميزان الإلهي الذي لا يضاهاى حكما ولا حقيقة ولا ادعاء، الحمد لله على نعمة الإسلام.

5.3 العفو عند المقدرة:

لقد جاءت النصوص مادحة لفاعله، مبينة ما ينتظره من أجرٍ عظيم في الآخرة، ناهيك عما يحصله من عفا من اكبار واجلال في الدنيا، فيكون قد سنّ في ذلك سنة حسنة، لصورة من صور نبذ الشحناء والبغضاء، المذهب لمعاني الإنسانية في المجتمعات والأفراد. فهذه الصفة الإنسانية النبيلة بعيدة المنال في الأعراف والقوانين والمواثيق الدولية، وقرينة ذلك أن المشرعين والمفكرين ما توقفوا عن الاجتهادات الفردية والاجتماعية لإنتاج وتكيف الأحكام الرادعة أو المجزئة، حسب المجتمعات في شتى الأصقاع، لما يعانونه ويعالجونه من قضايا التسلط والتحايل، وغيرها من أشكال

هضم الحقوق الخاصة أو العامة، ولم يزد الأمر إلا تعقيدا وتشعبًا، لاختلاف وتجاذب الاتجاهات والتيارات والمذاهب والديانات السماوية أو الوضعية الرمزية أو الفعلية اللازمة لانتماعات الإنسان المختلفة. فلم يستفد العالم من هذه الإنتاجات الفكرية إلا الإشكاليات المتولدة عن فرضيات الطرح البعيدة عن الواقع الإنساني المعيش. ثم هم بعد ذلك بشر يخطئون ويصيبون، فمن زعم منهم، على سبيل الفردية، الإحاطة بما تجذبه كل نفس، أو تكرهه على اختلاف المتحكم المشار إليه أنفًا، فقد رام الخال من الطلب، وسأل غير محصل، فدونه حرق القتاد. ولكن لو نظر هؤلاء فيما جاء به الإسلام بإنصاف، لوجدوا ضالتهم فيما يأملونه للإنسانية جمعاء، على اختلاف تجاذب أفكارها وتوجهاتها، في كل زمان ومكان، من إقامة الحق الذي جعله الخالق عز وجل، لما يصلح به الكون بمن فيه. فقد خلق الإنسان بطبعه اجتماعيًا، حسًا ومعنًا يحتاج ويُحتاج إليه، مادام في هذه الحياة المشحونة بالأحداث والتحويلات المشكلة للمراحل والمخططات الرئيسة في حياة البشر. فلا بد من وقوع أخطاءٍ وتجاوزاتٍ، مقصودةً وغير مقصودةٍ، لا تتحملها الطاقة الإنتاجية الفكرية للإنسان. لذا فمن حكمة الله عز وجل البالغة، أن شرع الثواب والعقاب من جهة، والعفو عند المقدرة من جهة أخرى، التي لا تنبغي أن تكون إلا لمن تدرج في مراتب الكمال الإنساني. فكلٌّ بحسب استطاعته على التحمل والصبر والتصبر والحلم والتحلم. فقد جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه موقوفًا، أنه قال: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه» رواه البيهقي³⁰. فحريٌّ بالمفكرين المجتهدين لإسعاد الإنسانية الساهرين على راحتها وتعايشها سلميا حضاريا أن يثمنوا هذه الصفة النبيلة وإشاعتها ونشرها بين الأفراد والمجتمعات، والترغيب فيها، والترهيب من المشاحة بالفتيل، والمقاصصة بالقطمير، والمحافضة بالنقير، لأن هذه الشكل من المطالبة يهدد العلاقات الإنسانية بالضعف والتلف. لذا فقد جاء الإسلام بتشريع التسامح وتقبل الآخر، وعبر عنه بالصفح والمغفرة والعفو عند المقدرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³¹، يستفاد من الآية أن الأزواج والأولاد، وإن تسببوا في مشغلة أزواجهم عن بعض الأعمال، فالتى يرجى بها الآخرة، فإن المطلوب من الزوج التفضل عليهم بالعفو والصفح والمغفرة. فقد جاء في سبب نزولها أن بعض الزوجات تضايقن بعض الشيء من هجرة أزواجهن ومن خروجهم للجهاد، فهموا بمعاقبتهم. فنزلت هاته الآية تدلهم على الأفضل وهو العفو،

والقاعدة أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. فالآية عامة، لا تختص بالمهجرة والجهاد، وهي قاعدة أصولية في التعامل مع الزوجات والأولاد. فالجزء من جنس العمل، فلم يرتب الأجر العظيم إلا على عمل عظيم، كأن تغفو عمن شغلك عن الآخرة. بسط ذلك وزيادة الطاهر ابن عاشور في تفسيره³² (ينظر)، وقال أيضاً: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾³³، فقد نزلت هذه الآية من ضمن ما نزل في حادثة الإفك، التي تكلم فيها المنافقون في عرض زوج النبي ﷺ، بنت الصديق رضي الله عنهما، الطاهرة المطهرة الحصان الرزان، كما وصفها ﷺ، عائشة رضي الله عنها وأرضاها. وكان من المتكلمين في الحادثة مسطح بن أثان، من الأقارب الذين كان ينفق عنهم الصديق ﷺ. فلما أخبر أنه من المتكلمين في عرض زوج النبي ﷺ، قطع عنه النفقة. فأنزل الله عز وجل هذه الآية، فرد الصديق النفقة عن مسطح، وقال حينئذ: "بلى أحب أن يغفر الله لي". وقد جاء عند الماوردي أن من معاني الآية المتعلقة بالعفو والصفح، وجهان: الأول، أن العفو عن الأفعال، والصفح عن الأقوال. الثاني، أن العفو ستر الذنب من غير مؤاخذه، والصفح الإغضاء عن المكروه³⁴ (ينظر). فنستفيد من سياق هذه القصة، عجيب انقياد الرعيل الأول لشريعة الإسلام، لما لها من ترسيخ للمبادئ الإنسانية، لأن الصديق تذكر بسعة مغفرة الله لعباده، فعفا عن مسطح، وصفح لداعٍ إنسانيٍّ أحس به تجاه مسطح، حين نزول الآية، لذا فإن هذه الصفات والمبادئ، كان الإسلام قائداً للعالمين، بتجسيده في الواقع، كما أراد الله ورسوله، لقرون. ثم دب الضعف لحكمة الله في تداول الأزمنة وتشعب المسلمون فرقاً وأحزاباً متنافرة، متناحرة، حتى سرنا في حال لا نحسد عليه من التنازع والشحناء والبغضاء، والتشتت، والضعف، والخور، بما كسبت أيدينا، مع الكثير الذي يعفو عنه ربنا، وإلا لذهب الكون بما فيه، ولجئ بخلق جديد، ولكن رحمة الخالق أبلغ وأوسع من ظن المخلوق، فإلى الله المشتكى وهو المأمول في أن يردنا إليه، ويصيرنا بالعيوب، ويعيننا على إصلاحها، وألا يؤكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، إنه سميع مجيب.

6.3 التفاؤل:

إن المقتضي الدلالي والتطبيقي لهذا الخلق العظيم يجعلانه يحاكي القاعدة المنطقية العقلية النَّاصَّة، على أن الأصل في الإنسان السلامة. فلا يحق لأحد إساءة الظن بالآخر، حتى تبدر منه قرينة واضحة محولة عن الأصل. وفي الحكمة الدارحة: {تفاءلوا خيرا تجدوه}، وللمتأمل أن يتصور حياة إنسانية من غير تفاؤل، لأن شيوع وانتشار التشاؤم وسوء الظن يؤديان إلى عدم تقبل الآخر، فضلاً عن العيش معه أو الدعوة الجادة لتبادل الأفكار والرؤى ووجهات النظر وتلاقح الأذهان، ويظهر الجانب العقدي لهذه الصفة الإنسانية العظيمة من كون الفشل يضاد الشئم المحاكي لظن والشك في النوايا ومنطويات القلوب وخلجات النفس، فيما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابُرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»³⁵، كما تتجسد عقيدة المسلم في هاته الصفة من خلال القاعدة الأصيلة المذكورة أنفاً، لأن المسلم إذا توقع الخير وأحسن الظن بغيره دون غفلة وعين السلامة منه، فإما أن يتراجع من كان يريد به سوءاً، أو ينتقم الله له في الحال، أو تدخر له أجراً يوم الدين من باب الامتحان والابتلاء، إضافةً إلى براءته من الظلم وخلو ذمته من مشاحة الغير ونفي الشين عن دينه وعرضه، فلا ننظر إلى الفأل بأنه ضعفٌ حسي أو معنوي، أو قلة عقلٍ أو برود شخصية، أو انهزامية في النفس، أو غير ذلك من التعليل العليلة التي لا تبني منها الإنسانية سوى الدمار العاصف بالحياة المتكاملة بين أفراد جنسها. لذلك، فقد كانت حياته ﷺ ودعوته ومعاملاته مبنية على الفأل وسلامة الصدر وحسن الظن حتى بلغ الإسلام مبلغ الليل والنهار، وارتحلت الظعينة من الحيرة إلى الكعبة لا تحش في ذلك إلا رب الأرض والسَّمَاوَات، دون رقيب لها أو عليها، كما جاء عند الشيخان من حديث عدي بن حاتم الطائي، واللفظ للبخاري³⁶، لأن المسلم يراها أختاً في دينه، أما الكتابي وغيره من أصحاب الديانات، فلا يمكنهم التعرض لها بسوءٍ لداعي الإنسانية والمعاهدات والمواثيق المقدسة عندهم. الواقعة بينهم وبين المسلمين، فالحماية والنصرة متبادلة بين الفريقين مع اختلاف الدين. نتيجة للفأل وغيره من المبادئ الإنسانية المرسية في صدر الإسلام، حتى أقر التسليم لهذا الدين العظيم، وتحاكم اليهود والنصارى في قضايا حصلت بينهم وبين المسلمين للحاكم المسلم الذي أنصفهم وحكم لغير المسلم على المسلم نتيجة لتفاؤل من احتكم إليه، فجوزي بذلك عدلاً في قضيته ممن

أمره الله بنفي الظلم ورد الحقوق إلى أهلها، كائنًا من كان. فغدا المسلم راضيًا بحكم الله، مسلمًا للعدل غير شاكٍّ في الحاكم بالقضية، والمحكوم له. أما القاضي، فلم يعتد بنفسه لاعتقاده أنه سوى خادم لدين الله وللإنسانية. وأما المنصور صاحب الحق في القضية، فراح يشيد بعدالة من تفاعل به خيرًا، ولو لم يسلم، فقد استفاد منه المسلمون أمن شره واتقاءً لغدر قومه بأهل الإسلام أو نقضهم للعهود والمواثيق. بل أن رسول الله ﷺ حين توفي، كانت درعه مرهونة عند يهوديٍّ لعلمه ﷺ وفأله حين اقترض منه الدنانير، بأن اليهودي ملتزمٌ بتسليم الرهن للنبي ﷺ، متى قضى السلف (سدد القرض). والقصص في هذا الباب والمعاملات كثيرةٌ متنوعة في مجالات الحياة، خاصة في زمن الخيرية الأول، الذي أخبرنا به ﷺ. فما الذي أوصلنا إلى ما لا يحمد عقباه من الكيد والضغينة والبغضاء والحسد وسوء الظن والتشاؤم، لتوهم أسباب وليست بذاك في شيءٍ إلا الفراغ الروحي من معاني ديننا. بين الإنسانية المقتضي منا تربية المسلمين أولاً على هذه المبادئ، بالتعهد والتعليم والدعوة في المناسبات بحسب الحال، حتى تصير سحبة تنشره الأجيال، لتعم بعد ذلك الإنسانية، جالبةً لجانب قويم من الاعتبار المعنوي، وصورة من العلاقات التي طال ما تشوف إليها البشر، حتى ظنها البعض من عالم المثل الذي لا يرام، لكونه لم يرها حقيقة. فلو ركز الدعاة والمربون على دراسات معاملات المسلمين من الرعيل الأول فيما بينهم، ومع غيرهم، لزال اللبس وكشفت الحقيقة وتبين الأمر، وبطل العجب، وأجيب عن الإشكال، وتبدد الظلم، وعاش الإنسان مع أخيه بما كان يأمله. ولطال ما أنتظره من تقبل الآخر له ما له وعليه ما عليه.

7.3 التآزر والتعاون:

لقد جاءت النصوص في شريعتنا حاثّة على هذا الخلق العظيم، منها قوله تعالى: ﴿...وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾³⁷، ورد في الآية أمرٌ ونهيٌ يتعلق كلٌّ منهما بإسمين جامعين للخير والشر. فالنهي جاء بصيغة النكرة في سياقه، وهي دليل الظهور في العموم. أمّا الأمر فقد جاء في الآية بصيغة واو الابتدائي المقترنة بفعل الأمر وهو قسيم النهي فيتبعه في العموم، لكونهما وردا في نفس السياق. لقد تقرر في علمي القواعد والأصول أن الأسماء الواردة في نصوص الوحي، إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت بحسب السياق. كما هو الحال في هذه الآية، فالبر يحمل على أعمال الخير المبذولة بين

الناس خاصة الظاهرة منها، أما التقوى فمحلها القلب وتختص بالفرد فيما بينه وبين الله تعالى. ولقد بين ذلك السعدي عن تفسيره أثناء كلامه عن الإثم والعدوان مختصراً³⁸ (ينظر). وقوله ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...»³⁹. وغيرها متكاثر في القرآن والسنة، وما له من دعوة صريحة لاعتبار التكامل الإنساني في أبهى حلله وأسمى مراقبه، لأن العنصر البشري بطبعه اجتماعي، لا يقبل التفرد. إذ لو كان الأمر كذلك، لجعلت المخلوقات منعزلة بعضها عن بعض، ولا اكتفى كل بنفسه، وانحاز إلى زاويته. فمن إتمام الله عز وجلّ النعمة على الإنسانية، أن سخر لها أسباباً حقيقية مباشرة وغير مباشرة، بمجموعها تشكل فاعلية التعايش المنشود، بوسائل مرضية لدى النفوس الشريفة والعقول الراححة، السليمة المنصفه، العادلة، التي بحثت بتجرد تام في أسرار حكم الله عز وجلّ التي أراد بها قيام الكون، على الميزان الإلهي، شرعاً وكوناً. والإنسان جزء من خلقه، كرمه بالعقل، وأرسل إليه رسلاً تثار (رسلاً متوالية متتابعة، فكلما قبض رسولٌ، أرسل الله من يخلفه، في تبليغ الحجة الرسالية)، يحددون له معالم العيش والتعايش المرضي، بين الخالق والمخلوق، في كافة مجالات الحياة. ومن المبادئ المرسومة لهذا التعايش المنشود، التعاون بشكليه المعنوي والحسي، فيدخل في الأول التعليم والتربية والعلاج النفسي بصوره وأنواعه، ويدخل في الثاني كل ما يستعين به غير القادر من مالٍ وجهدٍ يجود به الإنسان على أخيه بطيب نفسٍ. وهذا المبدأ مطلوب مرغوب مرسى في شريعتنا بالترغيب فيما عند الله من الثواب تارةً، وبالأمر به والنهي عن ضده تارةً أخرى، وأحياناً بتعين فوائده في الدنيا والآخرة، لتأنس النفس البشرية أن ما قدمته مخلوقٌ معوضٌ بوعده الله في الآجل أو العاجل، بدفع بلاء أو رفعه، أو بتسخير الله عز وجلّ من يعينه زمن حاجته، وهو مشاهد مجرب من عهد سلفنا إلى يوم الناس هذا. بل، أنّ من حرص شريعتنا على هذا الجانب المشرق من المبادئ الإنسانية، أنّ جعلت التعاون واجباً في حالات، منها: إذا لم يجد المستعين بك غيرك. ومن صور التعاون في صدر الإسلام: المكاتبه في العتق، وهي التزام العبد المملوك تحرير نفسه بمكاتبه سيده أفساطاً لكامل قيمة عتقه، إذا ما انتهى منها، أطلق حرّاً. فإذا علم به في المجتمع المسلم، تعاون الناس معه بالقروض أو الهبات والعطايا، استعجالاً لفك رقه، لما أحس به إنسانياً

من تقيد ما أطلقه الله. فأريد له من المجتمع المسلم بهذه الاستجابة أن يبقى على ما جعله الله عليه في أصل خلقته من المبادئ البشرية، ليساهم المعتق بنفسه فيما يطيقه من بناء أو حمل متاع، أو تصدق، أو غير ذلك من صور التعاون المعنوي أو الحسي، حسب استطاعته ومبدئ جهده شعورًا بما أسدي إليه من أفراد مجتمعه، وقد جعل النبي ﷺ التعاون من الصدقات المبذولة المأجور عليها، فقال فيما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «كل سلامي عليه صدقة، كل يوم، يعين الرجل في دابته، يحامله عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة، وكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ودل الطريق صدقة»⁴⁰. ولم يزل هذا المبدأ معمول به مع قلته في عصر الضعف والانحطاط إلا أنه في العهد القريب ما شيدت المؤسسات والبيوت، ولأنشأت الطرق وغيرها من عناصر الحياة، إلا بما المبدأ العظيم الذي أقر لديننا به في العصور الأولى من زمن العزة والتمكن للمسلمين، وإنصاف غيرهم في الغيب والشهادة، لأنهم يعلمون أن تحقيق هذا المبدأ عوده مطلوب لدى كل إنسان بلا قصر ولا حصر، فيجب على كل مسلم في وضعنا الراهن، كيفما كانت منزلته ومرتبته ومكانته العلمية أو الاجتماعية أو الدينية بالأخص، أن يسعى بنفسه في تجسيد هذا المبدأ مع أسرته وجيرانه ومن لهم به صلة مخالطة، ليكون عنصرًا مساهمًا وداعية بالفعل لما تتوق له الإنسانية أن تنعم به في رحاب سماحة الإسلام، بين أفرادها ومجتمعاته من جهة، ومع باقي مجتمعات الإنسانية من جهة أخرى.

8.3 الزكاة:

تعد الركن الثالث من أركان الإسلام، بعد الشهادتين وإقامة الصلاة، وهي ثاني الأركان التي يجتمع فيها العمل والاعتقاد. إذًا لو فعلها جاحد فلا تعد ولا تسقط ما في الذمة من حقوق على المزكي. وكما أن الملفت للنظر عدل الله عز وجل في الأصناف التي توزع فيها الزكاة وفقًا للشروط والأنصبة المبنية في مضامها أو نفلًا من عموم الصدقات. فمن إنسانية الإنسان بذل الصدقات بشقيها فيما شرع منضبط ليتحقق تأليف القلوب وإغاثة الملهوف من عابري السبيل. وهو من الجوانب السامية من إشعار الآخر باللطف والعطف عليه، اللذين هما أبلغ من التقبل والتعايش. فأين حضارة اليوم في حساب النقيير والقطمير وتحميل الإنسان ما لم يحمله خالقه من استساعة الواجبات المسلطة ظلمًا وقهراً دون مراعاة لحال الإنسان موسرًا أو مُعصرًا. قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْعَدِيمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾⁴¹ ، لقد بينت الآية الكريمة بعض الأحكام المتعلقة بالأصناف التي تنفق فيها الزكاة، فهي أصلٌ في الباب لما يلحق بها من النفل في الأحكام. فقد بين ذلك من الأصناف الثمانية التي تنفق في الزكاة أبو بكر جابر الجزائري في تفسيره⁴² (ينظر). كما أن الآية الكريمة حجة قاطعة ودليل بين على كمال الإسلام من جهة كثرة الأبواب التي تبذل فيها الصدقات بقسميها، ومن جهة العموم الشامل المستغرق لتنوع أفراد جنسه لأنها في حقيقة الأمر هي الرعاية الكاملة من الله عزَّ وجلَّ للمخلوق اعتباراً للإنسانية في شريعتنا، فلم يقتصر البذل على المسلمين فحسب، وإنما تعداهم إلى كافة البشر. فالأصناف في الآية الشاملة لغير المسلمين هي: ابن السبيل، وفي سبيل الله، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، فلننظر إلى عدالة رب الأرض والسماء في قضية القسمة. أن جعل أربعة أصناف ينتفع بها الإنسان من غير تحديدٍ لدين وهي المذكورة أنفاً، أما الأربعة الباقية من الآية فالانتفاع فيها للمسلم على الأولوية، لأن الزكاة لا تؤخذ طوعاً ولا كراهيةً إلا من مسلم. لذا نجد أنه ينتفع من الصنفين من الأول كونه إنساناً ومن الثاني لكونه مسلماً. ومن حكمة الله عزَّ وجلَّ أنه لم يوجبها على غير المسلم في مسألة يطول بسطها ولا يحتملها المقام تُراجع في مضامها من علم الأصول، وهي هل الكفار مخاطبون بأصول الشريعة فقط، أم بأصولها وفروعها معيةً أو تبعاً، أو أنهم غير مخاطبين بفروع الشريعة ولكنهم محاسبون عليها. عوداً على ما مضى فإن الله تعالى بإيجاب هذا الركن العظيم من أركان الإسلام، أراد للمسلم والله أعلم، أن يكون معلماً لمبادئ الإنسانية بعد ترسيخها بين أبناء جنسه، لأن الرسالة الخاتمة التي قال في حقها تعالى: ﴿ إِنَّا أَلَيْنَاكَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعٌ الْحِسَابِ ﴾⁴³ وقال أيضاً: ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ عِزَّ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴾⁴⁴ ، إن الآيتين تدلان على أنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يقبل من البشر سواء الإسلام، إما بمفهومه العام الذي بعث به كل الأنبياء وهو التوحيد، أو بمفهومه الخاص بعد مجيء خاتم الرسل محمداً ﷺ بالشريعة الناسخة المهيمنة. فقد بين ابن عاشور بنفي الاعتبار والصحة عن أي دينٍ عند الله عزَّ وجلَّ سوى الإسلام، من خلال مناسبة كل آية لما قبلها ولما بعدها وسبب النزول، وما تعلق بذلك من بلاغة،

نظم القراءان، النحوية، والمعنوية في كلام لطيف من تفسيره⁴⁵ (ينظر)، فهذه المعاني الشاملة لدين الإسلام، تقتضي أن تكون الأمة المحمدية قائدة للبشرية إلى بر الأمان والكمال والسلامة، والتعايش والتقبل، ونبد التنافر، والاجتماع على ما يجمع بما كرم الله به البشر من عقلٍ وتميزٍ وأسسًا ومبادئ، تأبى من خلالها النفوس الشريفة كل دين غير نافع في طبع بني البشر بالقاسم المشترك بينهم. فما أحوج الأمة المحمدية في عصرنا إلى إعادة ضبط وهيكلية بيت مال المسلمين، جمعًا وتوزيعًا بالوسائل التقنية المعاصرة، تعميمًا للخير على الإنسانية التي لا تزال ولم تزال متخبطة حائرة في البحث عن إمكانية تفعيل التعايش السلمي الحضاري بين أفراد جنس الإنسان، الواقع بين فكوك وتجاذب الأفكار والمذاهب والفلسفات، مختلفة التوجهات متعددة المشارب، متضاربة الأذواق، فلم تحي منها الإنسانية إلا شتات الفكر وتزاحم الأسئلة بالفرضيات وكثرة الإشكاليات، دون طائل يشفي الغليل ولا بصيص أمل يكتنف العليل.

9.3 عتق الرقاب:

تؤكد الأهمية العقدية لهذا الجانب في تأسيسه للمبادئ الإنسانية المتطلع إليها، المأصلة للتعايش السلمي الحضاري، وفيما يتضمنه من تحرير الناس من العبودية، وذللّ المخلوق، وتعييدهم للواحد الأحد الذي لا يظلم عنده من المخلوقات، من لم يرى للخلق بمجرد العين، فضلا عن الإنسان الذي أوجده وكفله وتفضل عليه بسائر النعم وجعله قائداً لغيره، لما حباه من القدرة والعقل. قال ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه بسنده، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من أعتق رقبة مسلمة، أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار، حتى فرجه بفرجه»⁴⁶. يستفاد من الحديث أن عتق الرقاب من أكد أعمال البر، لما فيه من تحرير النفوس من الرق، لأن طبيعة النفس البشرية الإنسانية تأبى وتنفر من الاستسلام لما يماثلها من المخلوقات. كما أن الحرية المنصفة العادلة المنضبطة، بعدم المساس بحقوق الغير، معتبرة شرعاً. من جهات منها أن الله عز وجل بين للإنسان الطريقين ولم يكره على أي منهما. قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁴⁷. ومن تلکم الجهات أن الله عز وجل لم يجعل الوقت مضيقاً في الواجبات وإنما أفسح فيه اعتباراً للحاجات. ومنها فسحة الإنسان من أمره ورتب مزيد الأجر والثواب لمن سارع وبادر بالأداء ولم

يؤاخذ المتأخر في وقت الأداء. ومن التأسيس لحرية الإنسان المعتمدة في شريعتنا في البيع والشراء، فقد سئل رسول الله ﷺ عن حكم بيع الحاضر الذي هو من أهل المدينة لمن قدم من البادية وليس له علم بحال السوق والأسعار، فنهى عن ذلك ﷺ لما فيه من تقيد للبادي بالحاضر. فقال فيما رواه ابن ماجه في سننه بسنده عن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ، قال: «لا يبيع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض»⁴⁸، ورواه احمد في مسنده وصححه شعيب الأرنؤوط وقال على شرط مسلم⁴⁹. ولقد كان الخلفاء على هذا الأمر من اعتبار حرية الانسان في الإسلام، لما جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "متى استعبدتم الناس ولقد ولدتم أمهاتهم أحراراً". فعاش المسلمون من عهد رسول الله ﷺ مساكنين لأهل الذمة والمعاهدين والمستأمنين على اختلاف دياناتهم. مع ذلك، لم ينقل من الخلافات أو المشادات بين المسلمين ومساكنيهم إلا ما ندر مما لا يعد ولا يكاد يذكر بالنسبة لروح من الزمن يمثل قرونًا. ثم إن هذا النزير اليسير لم يلبث أن يسوى لعدالة الإسلام القائمة على سوقها، فما أحوج الأمة للعودة إلى دينها الحق، المجرد من الخرافات وفرضيات المثل، تحقيقًا لسعادة الإنسانية في تعايشها السلمي الحضاري وتجسيد المعنى الفعلي لتقبل الآخر دون إرهاب فكري ولا اضطهاد عرقي ولا تمييز عنصري ولا إلغاء عرقي أو عادي مادام لم يشكل نوعًا من أنواع المضمض لحقوق الغير بالظلم والتعدي. وهي مسؤولية كل مسلم أن يعي مدرجًا فسحة الإسلام عقيدةً وشرعةً وأخلاقيًا على مراد الله ورسوله ويتبري على ذلك لتتناقل هاته السمات من سماحة الإسلام للأجيال، كابر عن كابر. فهي الموروث المطلوب المنقذ للعالم بأسره من حياة عبودية المخلوقات والأهواء والشهوات إلى الاستسلام لرب الأرض والسموات، من برأ النفس وأوجدها من العدم. فلا يتحسس إنسان من أخيه بالنقص ولا يُقيد فردًا يره بالتبعية، إلا على سبيل النصيح والإرشاد، الذي يعكس هداية البيان. فلا يحق لمسلم أن يرى المهلكة لمخلوق ويسلمه لها، ولا أن يبصر النجاة ولا يدلّه على طرقها وأسبابها ووسائلها المحصلة لها، مصداقًا لقوله ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الامام مالك في الموطأ والبيهقي والحاكم وصححه الألباني: «لا ضرر ولا ضرار» وزاد أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال أيضا: "من ضار ضاره الله، ومن شاق شاق الله عليه"⁵⁰. فقد جاء الحديث بنفي جنس المضارة من غير تحديد للمتضرر أو من وقع منه الضرر، على سبيل النكرة في سياق النفي. وهي نصية في العموم في بابها من دلالات الألفاظ.

10.3 أحكام الحروب:

إنّ الضوابط الشرعية لعلاقة المسلم بغيره من أصحاب الديانات، كتابيًا كان أو وضعيًا، تتمثل في قتال المقاتل دون غيره، والتزام العهود والمواثيق لأهل الذمة والمستأمنين والمعاهدين. فقد وردت النصوص في شريعتنا متظافرة، تميزًا لإنسانية المسلم، حتى في أحلك ما يكون فيه الإنسان من الظروف والأوضاع المترجمة للغيظ والحقد والانتقام. وهي الحروب التي تزهق فيها النفوس، دفاعًا كان أو طلبًا. ومما جاء عن الصادق المصدوق عليه السلام في وصاياه المتعددة المتكررة من الغزوات والسرايا لأمرء الجيوش في غير ما حديث ينهى فيه عن قتل الصبيان والنساء والشيوخ والتمثيل بالجثث، وقطع الشجر، واحراق واغراق النخل والنحل، وعقر البهائم والغدر وكل ما يشين للإنسانية، لأهم برفضهم الإسلام أو الجزية وقفوا سدًا منيعًا حيال انتشار دين الله، وقيدوا حرية من يرد الإسلام، وألغوا بذلك عقله وتحكموا في إرادته بغير حق فالطابع الإنساني والجلبة الخلقية التي فطر الله عز وجلّ الناس عليها تستلزم ضرورة اختيار الإنسان طريقه من غير تحكم. لأن الله جعل الجنس البشري مميزًا، مدرّكًا بالقوة أو بالفعل، كلّ ودرجته في هذا. وعلى ذلك يحاسب أي بما اقترفه من تسبب بشكل أو بآخر في إضرار الغير. لأن التعايش الحضاري وتقبل الآخر يستلزمان تمكن الجميع من كافة حقوقه، وضرورة القيام بكامل واجباته، نوعًا وكما وكيفًا. فلو تكاملت الإنسانية تعاملًا في الحياة لعاشت مطمئنة في الدنيا على الأقل. أما في الآخرة، فلكل حاله ووضعه في مرده إلى ربه. أما بالتزامها لفردية المصالح وشخصية المنافع، وتفضيل الذاتي واستعداد الآخر دون مسوغ، فقد استمرأت الدمار بتنافرها وعدائها. وما واقعنا المعيش إلا خير دليل على رفض التعايش السلمي ونفي التقارب الإنساني. فما بالك باعتبار الغير وأراءه وأفكاره ومطاراته. فالناظر بعين الانصاف يدرك لا محالة أن الإسلام لا يدانيه تشريع وضعي، كيف ما كانت صفته في تحديد العلاقات بين المخلوقات وضبطها بالحدود الموضوعية، حتى في مجال القتال كما سلف شيء من ذلك. فلا يجوز لمسلم الظلم والتعدي بحال عمن لا يدين بدينه. يقول عليه السلام فيما رواه البخاري في صحيحه بسنده، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ریحها توجد من مسيرة أربعين عامًا»⁵¹. أخبر النبي صلى الله عليه وآله في هذا الحديث عن كون المؤمن إذا قتل، من أعطاه والي المسلمين الأمانة بالمعاهدة أو الاستئمان، لا يدخل الجنة. لعظم شأن النفس عند الله عز وجلّ، واحترام اعتبار المواثيق في الإسلام ولم يعهد عنه صلى الله عليه وآله بالنقل،

وحاشاه غدرا، ولا في عهد الخلفاء الراشدين الأربعة، الذين مثلوا الإسلام في الداخل والخارج بتطبيقه وإعلاء كلمته وإظهار سماحته، رغبة فيما عند الله وبغية للخير، بدعوة الإنسانية لما يحقق سعادتها في الدنيا والآخرة. وقد توعد الله القاتل بغير حق بالنار، بل وصف القاتل ظلما في شريعتنا، كأنه قتل الناس جميعا كما أن من تسبب في انقراض روح بأي شكل من أشكال المساعدة الحسية أو المعنوية، فكأنه أحيى الناس جميعا من جهة الأجر والثواب وشكر الله عز وجل لعبده قال تعالى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾⁵²، يستدل بالآية على أن شدة عقاب من قتل نفسا بغير حق تماثل عقاب من قتل الناس جميعا، وكذلك الحال بالنسبة للجزاء من تسبب في قتل نفس من الملوك حكاة الثعلبي في تفسيره نقلا عن غيره من المفسرين، معدد معاني آخر في السياق⁵³ (ينظر). ومنالملفت للنظر أن الآية عبرت بكلمة الناس المشعرة بأن الحكم شامل للإنسانية كلها ولم يتقيد بدين أو عرق أو مذهب، امعانا في الرد على المغرضين الذين يريدون النيل من الإسلام شريعة وعقيدة ومعاملة وأخلاقا وسلوكا.

الخاتمة:

وفي ختام هذه الإطلالة اليسيرة المقتضبة والنظرة التي حاولت من خلالها الوقوف على أهم العناصر والنقاط الباعثة المؤسسة للقواسم المشتركة بين الإنسانية المتجذرة أصالة في العقيدة الإسلامية، لما تحويه من سماحة في المعاملات وما تحث عليه من دماثة في الأخلاق، فقد اكتسبت تلك السماحة الشرعية من ديننا الحنيف الكامل عقيدة وشريعة وسلوكا، المكمل بما حاواه من ملائمة للكون قدرا وشرعا عبر العصور والأمكنة. فهي الرسالة السماوية الخاتمة التي لا يرضى الله من البشر دينًا سواها، ورسولها خاتم الأنبياء والمرسلين. فلا يعد إيمان كائنا من كان ولا يعتبر إلا بتصديق رسول الإسلام محمد بن عبد الله، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وخير الناس بعده صحابته رضوان الله عليهم. فقد اختار الله عز وجل رسوله من جنس بني البشر قاطبة وانتخب له خيرة الخلق أصحابا وأعوانا وزراء وخلفاء من بعده، حتى مضى الإسلام محجة بيضاء ليلها كنهها، لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يضل عنها إلا متربص كائد بالإسلام وأهله. يقول الله عز

وجلّ في مكانة الإسلام عنده: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (آل عمران: 85)، ويقول عزّ من قائل، في كمال هذا الدين مبطل أصول شبهات المغرضين: ﴿...إِلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ (المائدة: 3)، أما في حق رسول الإسلام ﷺ، فقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4)، شهادة من الله عزّ وجلّ بنبيه بهذا الكمال البشري المطلق، الذي لا يداني فيه صلى الله عليه وسلم ولا يضاهي من غير مزائدة ولا ادعاء ولا تحيز وما سوى ذلك. إذا تبين ذلك، فما على جنس الإنسان إلا التدبر والتفكر والتعلل والتمعن والنظر بعين العدل والإنصاف إلى ما جاء به الإسلام عقيدةً وشرعةً وأخلاقاً ومعاملةً وسلوكاً. فهو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لا تبديل لكلمات الله الكونية والشرعية القائمة القيمة بزمam الأمر فيما أراه الله من صلاح ونفع وخير وسعادة حساً ومعناً في الدنيا والآخرة. ولقد تبين فيما مضى من التعرّيج على تلکم العناصر والنقاط على سبيل التمثيل لا الحصر، مدى إنسانية عقيدتنا في مجالات مختلفة وجوانب متعددة تنفرع عن أحكامها مقاربات فكرية وأطارح إنسانية ودقائق روحية نفسية منقطعة النظير في بابها. يضيق المجال بتعدادها وبسطها ولكن المنصف الموضوعية بحق يكفي بما ذكر وتبين استدلالاً على شمولية هذا الدين العظيم، الذي لا يظاله الباطل والشك من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، لأنه عين الحق واليقين ورسوله رحمة للعالمين، ومرسله موجد الكون وبارئه وريه ومدبره ومالكه المتصرف في من فيه أجمعين. ومن هنا يخلص إلى مدى أهمية عقيدة الإسلام للبشرية من خلال ما تبين تفصيلاً لما تدعو إليه من العناصر المؤسسة للتعايش السلمي الحضاري بين البشر. فهي العقيدة السماوية الوحيدة المنفردة بتعبيد الناس لموجد الكون المستحق وحده للعبادة. ثم إن عقيدة المسلم تكتسب أهميتها في حياة الإنسان ممّا كفلته من حقوق الفرد المستضعف في الأرض حتى يأخذ حقه حسياً كان أو معنوياً لأن الله عزّ وجلّ لا يرضى لعباده الظلم والتعدي. ومن أهمية عقيدة الإسلام أنّها تخاطب العقل، بل جعلته مناط التكليف مع محاكاته الواقع المعيش. لذا فهي صالحة عبر العصور لكل الأفراد والمجتمعات في أصقاع المعمورة. فهي أبعد العقائد عن المثل والفرضيات. كما تميزت عقيدة الإسلام بالوسطية والاعتدال فيما جاءت به وحثت عليه من عبادات وأحكام وأخلاق وسلوك. يلاحظ ذلك من خلال ما تقدم من تأسيسٍ للتعايش السلمي الحضاري المنشود لدى الإنسانية. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، دائماً وأبداً إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- كتب التفسير، ومصادر تخريج الحديث النبوي، ومعاجم اللغة العربية ومصادرها:
- ابن باديس (عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت.1359هـ))، تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))، تح: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط.1، 1416هـ - 1995م.
- ابن عرفة (محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت.803هـ))، تفسير الإمام ابن عرفة، تح: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، ط.1، 1986م.
- ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت.395هـ))، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1399هـ - 1979م.
- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت.774هـ))، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.2، 1420هـ - 1999م.
- ابن ماجه (ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت.73هـ))، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط، د.ت.
- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت.711هـ))، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.3، 1414هـ.
- أبو بكر الجزائري (جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر (ت.1439هـ))، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط.5، 1424هـ - 2003م.
- أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت.241هـ))، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1421هـ - 2001م.
- الألباني (أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت.1420هـ))، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط.1، 1422هـ - 2002م.
- الإيجي (عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت.756هـ))، كتاب المواقف، تح: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط.1، 1997م.

- البخارى (محمى بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى الجعفى (ت.656هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الشهير ب: صحيح البخارى، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط.1، 1422هـ.
- البغوى (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوى الشافعى (ت.510هـ))، معالم التنزيل فى تفسير القرآن (تفسير البغوى)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط.1، 1420 هـ.
- البيهقى (أحمد بن الحسين بن على بن موسى الخشروجرى الخراسانى، أبو بكر (ت.458هـ))، المدخل إلى السنن الكبرى، تح: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمى، دار الخلفاء للكتاب الإسلامى - الكويت، د.ط، د.ت.
- البيهقى (أحمد بن الحسين بن على، أبو بكر البيهقى (ت.458هـ))، السنن الكبرى (سنن البيهقى الكبرى) (ط. العلمية)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، د.ط، 1424هـ - 2003م.
- التويعرى (عبد العزيز بن عثمان)، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، مصر، ط.1، 1419 هـ - 1998م.
- الثعلبى (أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (ت.427هـ))، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبى محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان، ط.1، 1422هـ - 2002م.
- الحجازى، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد - بيروت، ط.10، 1413 هـ.
- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت.538هـ))، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربى، بيروت، ط.3، 1407هـ.
- السعدى (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت.1376هـ))، تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1420هـ - 2000م.
- الطاهر ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسى (ت.1393هـ))، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984 م.
- القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى شمس الدين (ت.671هـ))، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبى، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط.2، 1384هـ - 1964م.
- الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى (ت.450هـ))، تفسير الماوردى = النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط.د، د.ت.
- مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ))، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهير بـ صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربى - بيروت، د.ط، د.ت.
- يحيى بن سلام (يحيى بن سلام بن أبى ثعلبة، التيمى بالولاء، من تيم ربيعة، البصرى ثم الإفريقى القيروانى (ت.200هـ))، تفسير يحيى بن سلام، تقدم وتحر: الدكتور هند شلي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط.1، 1425هـ - 2004م.

- ¹ ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت.395هـ))، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1399هـ - 1979م، ج4، ص 194.
- ² ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت.711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.3، 1414 هـ، ج 12، ص 289-301.
- ³ التوحيدي (عبد العزيز بن عثمان)، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، مصر، ط.1، 1419هـ - 1998، ص 78.
- ⁴ (ابن فارس)، ن.م، 4/ 86.
- ⁵ الإيجي (عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت.756هـ)، كتاب المواقف، تح: د. عبد الرحمن عميرة، دار الجليل، بيروت، ط.1، 1997م، ص7.
- ⁶ الحج: 78.
- ⁷ يحيى بن سلام (يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت.200هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تقدمت وتتح: الدكتور هند شليبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط.1، 1425هـ - 2004م، 1، 891.
- ⁸ البخاري (محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت.656هـ))، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه الشهير ب: صحيح البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط.1: 1422هـ، رواه البخاري برقم 3443، 167/4 باب قوله تعالى {وأذكر في الكتاب مريم} من كتاب أحاديث الأنبياء.
- ⁹ الكهف: 49.
- ¹⁰ البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت.510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط.1، 1420هـ، 198/3.
- ¹¹ البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (ت.458هـ)، السنن الكبرى (سنن البيهقي الكبرى) (ط. العلمية)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، د.ط، 1424هـ - 2003م، حديث برقم 17734، 9/ 16، باب الإذن بالهجرة من كتاب السير.
- ¹² الألباني (أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت.1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط.1، 1422هـ - 2002م، حديث برقم، 3190، 577/7.
- ¹³ الأنبياء: الآية: 107.
- ¹⁴ القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت.671هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط.2، 1384هـ - 1964م، 11/ 350.
- ¹⁵ الشورى: الآية: 19.
- ¹⁶ الرمنشيري (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الرمنشيري جار الله (ت.538هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط.3، 1407هـ، 4/ 217_218.
- ¹⁷ مسلم (مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت.261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهير ب صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ط، د.ت، رواه مسلم برقم 2625، 4/ 2025، باب الوصية بالجار والإحسان إليه من كتاب البر والصلة والآداب.
- ¹⁸ الإسراء: 23 - 24.

- ¹⁹ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت.774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط.2، 1420هـ - 1999م، 5 / 64-66.
- ²⁰ لقمان: 15.
- ²¹ ابن باديس (عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (ت.1359هـ)، تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))، تح: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط.1، 1416هـ - 1995م، ص 67-68.
- ²² النساء: 98.
- ²³ الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد - بيروت، ط.10، 1413هـ، 1 / 418.
- ²⁴ البقرة: 279.
- ²⁵ ابن عرفة (محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت.803هـ)، تفسير الإمام ابن عرفة، تح: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس، ط.1، 1986م، 2 / 774-777.
- ²⁶ التوبة: 29.
- ²⁷ (مسلم)، صحيح مسلم، رواه مسلم برقم 961، 2 / 661، باب القيام للجنائز.
- ²⁸ (البخاري)، صحيح البخاري، رواه البخاري برقم 2363، 3 / 111، باب فضل سقي الماء من كتاب المساقاة.
- ²⁹ (مسلم)، صحيح مسلم، رواه مسلم برقم 1955، 3 / 1548، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة من كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان.
- ³⁰ البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحشُرُجُردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت.458هـ)، المدخل إلى السنن الكبرى، تح: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، د.ط، د.ت، حديث برقم 385، 1 / 270، باب فضل العلم.
- ³¹ التغابن: 14.
- ³² الطاهر ابن عاشور (محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت.1393هـ)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 28 / 282-285.
- ³³ النور: 22.
- ³⁴ الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت.450هـ)، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، ط.د، د.ت، 4 / 84.
- ³⁵ (مسلم)، صحيح مسلم، رواه مسلم برقم 2563، 4 / 1985، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها من كتاب البر والصلة والآداب.
- ³⁶ (البخاري)، صحيح البخاري، رواه البخاري برقم 3595، 4 / 197، باب علامات النبوة في الإسلام من كتاب الجهاد والمناقب.
- ³⁷ المائدة: 3.
- ³⁸ السعدي (عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت.1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1420هـ - 2000م، ص 218.
- ³⁹ (مسلم)، صحيح مسلم، رواه مسلم برقم 2699، 4 / 2074، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر من كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

- ⁴⁰ (البخاري)، صحيح البخاري، رواه البخاري برقم 2891، 35/4، باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر من كتاب الجهاد والسير.
- ⁴¹ التوبة: 60.
- ⁴² أبو بكر الجزائري (جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر (ت.1439هـ)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط.5، 1424هـ-2003م، 384/2-386.
- ⁴³ آل عمران: 19.
- ⁴⁴ آل عمران: 84.
- ⁴⁵ (الظاهر ابن عاشور)، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، 188/3-199، 302-303.
- ⁴⁶ (البخاري)، صحيح البخاري، رواه البخاري برقم 6715، 145/8، باب قوله تعالى: {تحرير رقبة} من كتاب كفارات الإيمان.
- ⁴⁷ البقرة: 256.
- ⁴⁸ ابن ماجه (ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت.273هـ)، سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط، د.ت، حديث برقم 2176، 734/2، باب النهي ألا يبيع خاضر لباد.
- ⁴⁹ أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت.241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1421هـ - 2001م، حديث برقم 14291، 196/22، باب مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
- ⁵⁰ (الألباني)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، حديث برقم 250، 498/1.
- ⁵¹ (البخاري)، صحيح البخاري، رواه البخاري برقم 3166، 99/4، باب من قتل معاهدًا بغير إثم من كتاب الجزية.
- ⁵² المائدة الآية: 24.
- ⁵³ الثعلبي (أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (ت.427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط.1، 1422هـ - 2002م، 4/54.